العدد 1626 - السنة السادسة
الاربعاء 22 رمضان 1434 - الموافق 31 يوليو 2013
Wednesday 31 July 2013 - No.1626 - 6th Year

يقدم لنا القرآن الكريم في سياق قصص الأنبياء مجموعة من أفراد المملكة الحيوانية التي لعبت دورا في التاريخ كغراب ابني آدم وناقة صالح وطير إبراهيم وذئب يوسف وحوت يونس وبقرة بني إسرائيل وعصا موسى وهدهد سليمان ونملة سليمان ودابة الأرض وحمار عزيز وكلب أهل الكهف وفيل أبرهة والطير الأبابيل وعنكبوت الغار وعلى إمتداد أربعة عشر قرنا بقيت هذه المجموعة من قصص الحيوان غارقة في الظل .. حتى إنحنى عليها الكاتب الإسلامي والفنان أحمد بهجت فجعل من هذه المجموعة أبطاله لكتابه قصص الحيوان في القران

إعداد: محمد محسن عفيفي

قصص الحيوان في القرآن

كلب أهل الكهف .. لم يحظ حيوان من جنسه باهتمام في القرآن الكريم

- عاش في مدينة كالجحيم ملك كافر يضطهد المؤمنين وأهل المدينة فاقدي العقول
- ولد قبل نحو سبعة عشر قرناً من الزمان في مدينة إسمها أفسوس

ما زلنا مع القرآن الكريم في درس آخر في دروسه العظيمة، ومع مخلوق قلما نذكره إلا في مواطن السبّ أو الاستهزاء. إنه الكلب، ولكن أي كلب.

إنه كلب أهل الكهف، والذي لم يحظ حيوان من جنسه بما حظي به من ذكر واهتمام وتقدير في القرآن الكريم! بل إنني أكاد أقول بأنه قد حظي بما لم يحظ به الكثير من البشر أنفسهم من ذكر ومنزلة واهتمام.

وبينما تم ذكر أصحاب الكهف دون تحديد ولا توصيف ولا تعريف، لا في الأسماء ولا في العدد، فإن الوحيد الذي حُدد وعُرف وذكر بوضوح وبتكرار هو الكلب الذي صحبهم.

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا [الكهف: 18]، وقوله تعالى: سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾[الكهف: 22].

لعلك ترى معي أن الشيء الوحيد المعرّف والثابت والمستقر والمتكرر في أعضاء الفريق هو الكلب، ولعل ذلك هو ما شدّنا إلى مجموعة من الدروس والعبر المهمة، فهيا معًا نتلمسها.

مع نشاطه وحيويته نام أكثر مما نام كل كلاب الدنيا هو الكلب الوحيد الذي سيدخل الجنة إنه قطمير وقطمير هو اسم كلب أهل الكهف الذي نام ثلاثمائة وتسع سنين. أنا لا أعرف لماذا يسيء الناس إلى الكلاب وهي مخلوقات الله التي لو أراد أن يخلقها إنسانا مثليومثلك لفعل ولكنها إرادته سبحانه وتعالى

ولد كلب حكايتنا قبل حوالي سبعةعشر قرن من الزمان في مدينة إسمها أفسوس

(وقد إختلفت الأقوال حول مكان وجودهذه المدينة فهناك من قال إنها تقع بالقرب من مدينة أزمير في تركيا حيث يوجد كهف قيل أنه كهف أهل الكهف والقول الآخر إنها تقع بالقرب من عمان عاصمة الأردن حيث أيضا يوجد كهف تشابهت أوصافه مع أوصاف كهف أهل الكهف)

كان أهل مدينة أفسوس هذه من الإمعات وفاقدي الرأي وكان يحكمهم ملك طاغ من الرومان وكان اسمه ديقيانوس كان كافرا بالله ويضطهد المؤمنين ويوما ما ادعى الألوهية وكان يدعو أهل مدينته إلى عبادة الأصنام فمن لم يجبيه قتله نعم قطع رأسه

أي أن كلب حكايتنا ولد في مدينة كالجحيم ملك كافر وأهل مدينة فاقدي العقول فقد خرج اهل المدينة يوما وهم يصيحون:

– إن عدد الكلاب في أفسوس قد زاد بشكل رهيب

– زاد إزعاجهم ونباحهم طوال الليل

– أصبحت تأكل من طعامنا

– وتعض اولادنا

– وتنجس معابدنا.

– يجب إعدامهاجميعا نعم يجب القضاء عليها وتعالت الأصوات بنعم يجب القضاء على الكلاب

وبالفعل خرج الرجال شاهرين سيوفهم يجوبون الشوارع لقتل كل من يقابلهم من الكلاب ولإسكات النباح وارتفعت السيوف لتهوي على الكلب فتذبح الصرخة قبل انطلاقها

قال كلب حكايتنا: كنت صغيراً وقتها حين دخلوا المكان الذي كنت أسكنه مع أمي وكانت أمي قد أخفتني بين حجرين في هذا المكان ولما عادت وجدتهاتجري تجري وأناس يجرون وراءها شاهرين سيوفهم وهم يصيحون: أمسكوها اقتلوها لا تدعوها تهرب منكم اقتلوها.

وفجأة هوى سيف على ظهر أمي فانكفأت على الأرض متخبطة في دمها وهي تنبح نباحاً ضعيفاً قالت لي فيه: اختبئ جيدا إختبئ ياقطمير فقد جن أهل المدينة وخرجوا يقتلون الكلاب. إختبئ إختبئ وسقطت أمي ميتة من آلامها

ظل كلب حكايتنا مختبئاً في هذا المكان حتى هدأت ثورة أهل هذه المدينة على الكلاب شعر بعدها بجوع شديد فقد ماتت من كانت تطعمه ووجد أنه مضطر أن يعتمد على نفسه ويبحث عن طعامه إنتظر حتى قبل الغروب وخرج متلصصا خشية أن يراه أحد ويقتله فهو لا يأمن لأهل هذه المدينة حتىوصل إلى مكان مجاور أخذ يشمشم لعله يجد ما يطعمه

وإذا به يلاحظ دخول رجل من الرعاة يلجأ باغنامه إلى هذا المكان يترك الأغنام في ركن منها ويأخذ ركنا آخرويرفع يديه إلى السماءويصلي بعد أن أنهى الراعي صلاته شعر بوجود الكلب الصغير فابتسم له ومد يده إليه بقطعة من طعامه : خذ خذ لا تخف هذا رزقك من خالقالعظيم الذي لا ينسى مخلوقاته.

اندهش الكلب من كلمات الراعي وحنان قلبه فأهل المدينة يقتلون الكلاب وهذا الرجل يعطف عليه ويعطيه من طعامه

إنه رجل مختلف عن أهل المدينة قال الكلب لنفسه إنه بالتأكيد رجل صالح ويؤمن بالله

قرر الكلب "قطمير" لحظتها أن يتبع هذا الرجل ويحرسه وينبح له ويحمي غنمه وبالفعل ظل الكلب يتبع هذاالراعي أياما وشهورا حتى اكتمل نضجه.

وتمر الأيام والأيام ويوما ما حدثما لم في الحسبان فقد أطلق الملك أتباعه وجواسيسه في كل مكان من المدينة لمراقبة الناس وإخباره بمن يسجد لآلهته ومن لا يسجد وكان من حظ الراعي التعيس أن أحد أتباع الملك كان يراقبه في الخفاء جاء وامسك بالراعي وأخذه إلى الملك

ياموﻻي إنني راقبت هذا الراعي ووجدته لا يسجد لآلهتك

هنا ثار الملك ورفع سيفه : أجننت أيها الرجل ألا تعرف أن هذه مملكتي وأنا الذي يحدد الإله الذي يُعبد فيها ومن لا يسجد للأصنام سيكون حد السيف هو جزاؤه وستقطع رقبته .

قال الراعي: اعذرني يا مولاي فلم أر آلهتك .

هذه آخر فرصة لك إئلم تسجد لآلهتي مرة أخرى ستكون هذه نهايتك.

أدرك الكلب أن الراعي في خطر شديد وازدادت قناعته بالخطر عندما حل الليل ووجد الراعي يتسلل من بيته في الظلام ومشىحتى وصل إلى جبل قريب والكلب يتبعه ويحرسه فجأة تقابل الراعي مع مجموعة منالرجال كانت وجوههم أشبه بوجوه الملوك أو الوزراء اقترب الكلب وأطرق أذنيه ليستمعإلى حديثهم فهم من الحديث أنهم مجموعة من وزراء الملك آمنوا بالله وتركوا كلمتاع الدنيا وهربوا خوفا من بطش الملك سار بهم الراعي نحو كهف قال لهم إنهيعرفه جيداً واسمه الوصيد وأنهم يستطيعون الاختباء فيه من مطاردة الملك وأتباعه .

تبعهم الكلب في البداية خشي الرجال أن يفضحهم الكلب بنباحه فألقوا عليهبالحجارة ولكنهم وجدوا إصرارا غريبا من الكلب على تتبعهم مما جعلهم يدركون أن اللهربما قد أرسله لهم ليحرسهم من عدوهم .

ولما وصلوا إلى الكهف أمر الراعي الكلبان يجلس على باب الكهف ليحرسهم وينبح إذا اقترب منهم أحد .

كانت هذه هي أولمهمة رسمية يكلفه بها صاحبه وأراد أن يثبت وفاءه .

بسط ذراعيه واتخذ وضعالحراسة .أغمض عينا وفتح عينا وهو يفكر كيف يثبت لهؤلاء المؤمنين أنه قادر علىحراستهم فجأة شعر الكلب أن النوم قد غلبه وجد عينه المفتوحة تنغلق من تلقاءنفسها تلاشت كل قدراته على اليقظة راح في نوم عميق.

استيقظ الكلب أول واحد وجد نفسه ميتا من الجوع وجد شعره قد نما بشكل غير طبيعي ظن أول الأمر أنه ربما نام اسبوعا أو اسبوعين نبح الكلب ليوقظ أصحابه فلمارآهم كاد أن يغمى عليه من الرعب فقد طالت لحاهم حتى طالت أقدامهم كان شعرهميسترسل وراء ظهورهم ويجرجر على الأرض كان الكلب يرتجف من الرعب لمنظرهم فكرفي الفرار منهم لكنه وجد رائحتهم كما هي لم تتغير نظر كل واحد منهم للآخر غيرمصدق لما يراه.. قال أحدهم ربما نمنا يوما أو بعض يوم وقال آخر الله أعلم بمالبثنا شعروا بالجوع فقرروا أن يرسلوا أحدهم بنقودهم إلى المدينة ليشتري لهمطعاما وقع الإختيار على الراعي على أن يتنكر جيدا حتى لا يعرفه أهل المدينةفيقتلوهم أو يردوهم في دينهم خرج الكلب يتبع صاحبه وكانت المفاجأة فقدرأى مدينة غير التي يعرفها البيوت غير البيوت الخرائب تحولت إلى قصور والقصورتحولت إلى خرائب والناس غير الناس الذين يعرفهم والملابس غير التي كانيرتديها حتى اللغة تغيرت إلتف الناس حولهم قائلين في دهشة هذا سائح جديد انظروا إلى ملابسه ولحيته التي طالت الأرض .انظروا إلى كلبه هو الآخر وشعرهالطويل

راحت الكلاب تنبح حولنا كان ألف شيطان يطاردها وعندما دخلنا إلىالمطعم ليشتري صاحبي الطعام لم يكد البائع يرى عملة الراعي حتى صرخ عملة أثرية عملة أثرية من أين أتيت أيها الرجل بهذه العملة هل عثرت على كنز والتفالناس حولنا حتى وصل أمرنا إلى ملك تلك المدينة وكان مؤمنا فطلب إحضارنا.

من أنت أيها الرجل ومن أين أتيت .

فأخبره الراعي بالحكاية كاملة وجد الراعي الدهشة في النهاية على وجوه الجميع سألهم :سمعتم قصتي إخبروني كم لبثنا فيهذا الكهف وكانت الإجابة ثلاثمائة وتسع سنين أهلك الله عز وجل فيها ديقيانوس الملك وجميع أهل مملكته ذهب ذلك الزمان وجاء زمان آخر وقوم آخرون صار هؤلاءالمؤمنين آية للناس صار كلب حكايتنا قطمير صار آية من آيات الله عز وجل.

هذه حكاية كلب أهل الكهف الكلب الذي نام سنوات وسنوات واستيقظ وكأنما نامسويعات سويعات إنها قدرة الله تعالى الذي يحيي ويميت .

حيوان أليف ويقظ يعرف معنى الإخلاص والقدرة على السهر

الكلب من الحيوانات الأليفة التي عرفها الإنسان منذ زمن بعيد. وهي حيوانات تختلف كثيراً في الحجم والشكل والمنافع. وقد لا يوجد على وجه الأرض حيوان ثديي، يختلف في شكله وحجمه ولونه وخصاله مثلما تختلف الكلاب. ويوجد منها في أنحاء العالم ما يربو على 400 سلالة، وهذا العدد يزيد يوماً بعد يوم ما استمر الإنسان في استنباط سلالات جديدة، لاستخدامها في المعارض والمسابقات والرياضة وحراسة المنازل والأعمال الحربية والبوليسية وأعمال أخرى كثيرة يصعب حصرها. والكلب من أكثر الحيوانات حباً ووفاءً للإنسان.

التصنيف البيولوجي

ينتمي الكلب Canis familiaris، إلى شعبة الحبليات ـ شعبة الفقاريات ـ طائفة الثدييات ـ رتبة آكلات اللحوم ـ الفصيلة الكلبية، التي تضم الثعلب والذئب وابن آوى ولكنه من جنس ونوع الكلاب.

نبذة تاريخية

يُرجّح العلماء أن الكلاب تم استئناسها منذ أمد بعيد لا يقل عن عشرة آلاف سنة، وكان ذلك في شمال إيران ويعتقد بعض الباحثين أنها انحدرت من الذئب الآسيوي، عندما احتفظ إنسان العصر الحجري بجراء الذئاب وعُني بتربيتها. ثم ما لبثت بمرور الأجيال أن استؤنست ونشأت منها الكلاب، التي تشبه أسلافها من حيث القوة والتركيب الجسماني وشكل الأسنان. بينما يؤكد علماء الإيثولوجيا (السلوك) أن أصول الكلاب الحالية ترجع إلى نوع من الكلاب البرية، اختفى منذ زمن بعيد من على سطح الكرة الأرضية.

وقد وجدت حفريات في سيبيريا تشير إلى وجود حيوانات شبيهة بالكلاب في صحبة الإنسان، منذ ما يزيد على ستين ألف سنة. وهناك دلائل أخرى على وجود كلاب مستأنسة في مناطق شاسعة، تمتد من اسكتلندا والدانمارك وألمانيا وسويسرا إلى الشرق الأوسط في زمن العصر الحجري الحديث، الذي ابتدأ منذ حوالي 9000 سنة قبل الميلاد. وفي سويسرا أكد تحليل الآثار، التي تعود إلى 8000 سنة قبل الميلاد، أن أنواع الكلاب قد اختلفت في حجمها وشكلها عما هو معروف حالياً. وتؤكد الدراسات أن اقتناء الكلاب الصغيرة في المنازل عادة قديمة جداً.

وتختلف أطوال الكلاب وأوزانها وأحجامها وأشكالها اختلافاً شديداً، باختلاف السلالات التي تبلغ أكثر من 400 سلالة موزعة على جميع أنحاء العالم. وهذا العدد يزداد يوماً، بعد يوم حيث تستنبط سلالات جديدة ذات إمكانات متباينة ومواهب متعددة.

وقد عرف الغرب العديد من السلالات من خلال التزاوج المقنن. فهُجّنت مئات السلالات، ولكل سلالة منها قدراتها الخاصة وصفاتها الجسمية. وتتميز بعضها بصفات خاصة بها. فمثلاً التشاو تشاو له لسان أسود، والمكسيكي الأجرد لا شعر له سوى رقعة صغيرة في قمة رأسه. وغطاء جسم الشاربي خشن الملمس، أمّا جلد صغاره فيكون فضفاضاً لدرجة أنه يبدو واسعاً جداً بالنسبة لجسم الكلب. بينما نجد أن البازنجي، ومنشؤه أفريقيا، هو الكلب الوحيد الذي لا يستطيع النباح.

الكلاب والفراعنة

تعكس النقوش على الآثار المصرية، اهتمام الفراعنة بالكلاب واحترامهم لها. وتشير هذه الرسوم إلى وجود سلالات نقية، مثل الكلب السلوقي، مما يؤكد الاهتمام بوجود سلالات غير مخلوطة أو مهجنة. وقد استخدم الفراعنة الكلاب لصيد الظباء والطرائد الأخرى، وكذلك في الحراسة بل وفي الحرب. و يعتبر الكلب الفرعوني أحد أقدم سلالات الكلاب في العالم، وقد وجدت أشباه تلك الكلاب على جدران مقبرة الفرعون أنتيفا الثاني، الذي يرجع تاريخه إلى عام 2300 ق . م. وفي القرن السادس عشر قبل الميلاد أحضر الفينيقيون كلباً فرعونياً إلى جزيرة مالطة، وقد استوطنها حتى العصور الحديثة.

وكانت الكلاب الفرعونية ملساء يبلغ ارتفاعها من 53 إلى 70 سم، وتزن من 15 إلى 23 كجم. فرأوها القصير المنبسط اللامع أسمر ضارب للصفرة، أو أحمر قان. وكان لها أطراف أصابع بيضاء في القدم وعلى صدرها رسم أبيض مثل النجوم، وطرف ذيلها الشبيه بالسوط أبيض اللون أيضاً. وكثير منها لها خط أبيض أعلى منتصف الوجه.

ويحمر لون الكلاب الفرعونية عندما تنفعل، أي أن أنفها وأذنيها المنتصبتين تتغير إلى اللون الوردي الداكن، علماً بأن لون أعينها يُشبه لون الكهرمان. وقد اشتهرت الكلاب الفرعونية بقوة حاستي البصر والشم في الصيد، وهي تتحرك في سرعة ورشاقة كما أن عضتها قوية.

الكلاب الأليفة

تُستخدم الكلاب في كثير من الأغراض، ولكل غرض مجموعة من السلالات تناسب كفاءتها الغرض المطلوب تحقيقه. فهناك كلاب للحراسة، وهي تتميز بالإخلاص والذكاء واليقظة والقدرة على السهر، وعدم تناول أي مأكولات أو مشروبات من الغرباء مهما بلغت درجة جوعها أو عطشها. كما أنها سهلة التدريب، ولها صوت عال حتى تنبه أصحابها إلى أي دخيل.

كذلك هناك سلالات الكلاب الحربية، وهي تتميز بالجسم الضامر، والسرعة الفائقة، والقدرة على القفز والهجوم ومعرفة الأهداف، وتمييز الأعداء، وسرعة الأداء دون أن يصدر عنها صوت ينبه العدو لوجودها.

أمّا كلاب العرض، أي التي تشترك في المعارض، فتتميز بصغر حجمها، وجمال تكوينها، ورقة ودقة أجسامها، ونعومة أصواتها. وهذه السلالات تشعر بجمالها، فتراها تمشي في دلال، وتتحرك في ليونة وخفة.

وتعتبر الكلاب التي تقود مكفوفي البصر من المعجزات، وهي غالية الثمن، من سلالة لابرادور، وتعي واجباتها بعد تدريبها لمدة 3 شهور فقط. وتعرف الطرق و إشارات المرور وأماكن عبور المشاة ومساكن أصحابها، بل تعرف أماكن التسوق. والأغرب أنها تعرف أرقام الحافلات التي يركبها أصحابها، فتراها لا تقفز إلا في المركبة التي يريدها صاحبها، وتغادرها في المكان المطلوب تماماً، فتبارك الله احسن الخالقين.

وهناك الكلاب المنزلية، التي تُصاحب أفراد الأسرة وتعرف أصدقاءهم وضيوفهم، كما تعرف أعداءهم أو الأغراب عنهم، فتهاجمهم. كما أنها مدربة على قضاء حاجتها خارج المنزل.

أمّا الكلاب البوليسية، فلها قدرة شم أكثر من الكلاب الأخرى، ولها قدرة كبيرة في التمييز بين الروائح، فهي عندما تشم أثر لشخص من الأشخاص فإنها تستطيع أن تتتبعه عدة كيلومترات، كما تستطيع أن تكتشف رائحة المخدرات مهما بلغت دقة إخفائها. ويؤخذ بما ترشد عنه هذه الكلاب كقرينة في القضاء، عند محاكمة المهربين أو القتلة والسفاحين.

وتعتبر كلاب الرعي من أهم العوامل المساعدة على رعي الأغنام، في البلاد ذات المراعي الشاسعة. فهي تحرس الأغنام من الضواري والجوارح واللصوص، كما أنها تجمعها في المناطق التي يحددها الرعاة نهارا، وتقودها إلى حظائرها عند مغيب الشمس أو هطول الثلوج. وكثيرا ما تكتشف هذه الكلاب أماكن الأغنام إذا غطتها الثلوج، فيجرى إنقاذها قبل أن تنفق.

ومن أغرب سلالات الكلاب من نوع لابرادور، تُنقذ الغرقى وتساعدهم في الوصول إلى بر الأمان، وهي تجيد السباحة وتطفو على الماء بما عليها من فراء سميك يمنع عنها البرد، ويهيئ لها القيام بمهمتها خير قيام.

وهناك قصص كثيرة عن بطولات قامت بها الكلاب، نال بعضهم عنها جوائز وأقيم لآخرين تماثيل لتخليدهم، فبعض الكلاب اقتحم النيران لإنقاذ أطفال صغار، وبعضهم هاجم ثعابين سامة وقتلها فأنقذ صاحبه من موت محقق.

وفي المجتمع الغربي تستخدم الكلاب أحياناً في مجال الطب، فيستخدمون آلاف الكلاب في التجارب سنوياً، وبهذه الطريقة ساعدت الكلاب العلماء في تطوير أدوية مفيدة، وطرق جراحية جديدة، ولكن بعض الناس يظنون أنه من القسوة استخدام الكلاب، مثل سائر الحيوانات، في التجارب المعملية.